في سورة الفتح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأقرب ما يتأول به أن تكون الآية من باب الأخذ بالأطراف
للدلالة على الإحاطة كقولك قرأت القرآن أوله وآخره وجلت البلد أوله وآخره فتحمل المغفرة في الآية على المغفرة
اللغوية وتكون من بمعنى عن والذي يتقدم على الذنب أسبابه من الشهوة فيه والهواجس والخواطر
وحديث النفس والهم والعزم والذي يتأخر عنه آثاره من الرأي والقسوة والتثاقل عن الخير وغير ذلك
من العقوبات الدنيوية والأخروية فأخبر المولى الكريم أنه فتح لنبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من أبواب
المواهب الربانية والأنوار اللدنية العرفانية والعصم الكاملة والهمم القدسية العالية ما استأصل شأفة
كل ذنب وستر بسببه المولى الكريم عنه سواء كل عيب ولواحقه ونكتة العدول عن تعريف الذنب
بالألف واللام إلى تعريفه بالإضافة إليه عليه الصلاة والسلام وجهان أحدهما تقرير النعمة عليه
بأن هذا الذنب الذي عصم منه ذنب له بحسب الإمكان العقلي والقبول البشري العادي وفي العصمة من ذلك
مع القبول من المنعم عليه والفضل العظيم ما لا يخفى الثاني يحتمل أن تكون الإضافة للتنبيه فالخفي على
الجلي وبالأدنى على الأعلى أي سترنا عنك الذنب الذي يتوهم وصوله إليك ويعد ذنبا بالنسبة
إليك وإن كان حسنة بالنسبة إلى غيرك كالأنس مثلا بالطاعة والقصد بفعلها قبل ما لا يلائم
النفس في الجنان من الشهوات ونحو ذلك مما هو كثير لائق بمقام أهل الحجاب من الزهاد والمتعبدين
وإذا استر عنه هذا النوع واستؤصلت سوابقه ولواحقه وإن كانت ليس ذنبا حقيقيا بل هو
كمال في حق العموم فأحرى سائر الذنوب التي هي ذنوب في حق العام والخاص كالزنى وشرب الخمر والغيبة
ونحوها **وأما** قوله تعالى واستغفر لذنبك فقيل إنه خطاب له والمراد أمته ويحتمل
أن يكون أمر بذلك على سبيل التعبد المحض زيادة في رفع الدرجات وتذكير النعمة العظمى مطلب
دوامها وإشارة إلى أنها محض فضل بلا وجوب ولا استحقاق ونكتة إضافة الذنب هنا ما سبق في آية
سورة الفتح وهذا الوجه أقرب والله تعالى أعلم **وأما** قوله تعالى ووضعنا عنك
وزرك ففيه أقوال كثيرة والأظهر أن حمل الوزر على الذنب أو وضعه حينئذ بمعنى الحفظ منه ومن
سوابقه ومن لواحقه حتى لا يحمل مؤنة من مكونه وإضافة الوزر إليه نكتة أيضا ما سبق **وأما**
قوله تعالى عفا الله عنك فلا معاتبة فيه بوجه بل فيه تكرمة وتعظيم كما يقال في استفتاح
الكلام مع العظماء أصلحك الله وأعزك **وأما** قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما أخذتم عذاب عظيم فالأظهر أن معناه لولا كتاب من الله سبق بإحلال الغنائم لكم وتخصيصكم
بهذه الفضيلة دون من قبلكم لكان كذا وكذا ولهذا قال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فليس في الآية
إلزام ذنب ولا معاتبة بل فيها ذكر ما خص نبينا وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وفضل به
من بين سائر الأنبياء والرسل على جميعهم الصلاة والسلام فكأنه تعالى قال ما كان هذا لنبي غيرك كما

قال عليه

الصلاة

كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي والخطاب بقوله تعالى تريدون عرض الدنيا إنما
إنما هو لمن أراد من الناس ذلك وتجرد عرضه لعرض الدنيا وحده وللاستكثار منها وليس المراد به النبي صلى الله
عليه وسلم ولا عليه أصحابه رضي الله تعالى عن جميعهم **وأما** قوله جل من قائل عبس وتولى الآية
فقال عياض في الشفا ليس فيه إثبات ذنب له عليه السلام بل إعلام لله أن ذلك المتصدى له ممن لا يزكى وأن
الصواب والأولى كان لو كشف حال الرجلين لاخترت الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئنافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة
له وقصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنه والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وما عليك
ألا يزكى وقيل أراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام **وأما** قوله
تعالى وعصى آدم ربه فغوى فالتحقيق أن المراد المعصية والغواية اللغويتان وهما وقوع صورة المخالفة
والغواية التي هي ترك المرشد سواء وقع عمدا أو نسيانا أو تأويلا لا الشرعيتان ولهما المخالفة عمدا مع العلم
بالتحريم فإن المخالفة على هذه الصفة لن تقع من آدم عليه الصلاة والسلام وإنما وقعت منه نسيانا أو
بالتأويل وذلك مبسوط في الشفا وكتب التفسير ورحم الله تعالى الإمام العالم ابن العربي حيث قال يجب
تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عما نسب إليهم الجهال ولكن البارئ سبحانه بحكمه النافذ
وقضائه السابق أسلم آدم إلى الأكل من الشجرة متعمدا للأكل ناسيا للعهد فقال في تعمده وعصى آدم وقال
في بيان عذره ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي فمتعلق العمد غير متعلق النسيان وجائز للمولى تبارك
وتعالى أن يقول في عبده لحقه تثريب ويعود عليه بعظه فيقول نسي تقريبا ولا يجوز لأحد منا أن يطلق
ذلك على آدم أو يذكره إلا في تلاوة القرآن أو قول النبي صلى الله عليه وسلم **وأما** قوله تعالى فلما
آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فقال الواحدي في تفسيره إن إبليس أتى حوا في غير صورته التي
عرفته وقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا وذكرت ذلك
لآدم فلم يزل في هم من ذلك ثم أتاها وقال إن سألت الله تعالى أن يجعله بشرا سويا مثلك تسميه عبد الحارث
وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فلم يزل بها حتى غرها فلما ولدت ولدا سويا فسمته عبد الحارث
برضى آدم عليه السلام وذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا ولدا بشرا سويا جعلا له شركاء يعني
إبليس فأوقع الجمع موقع الواحد فيما آتاهما من الولد إذ سمياه عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون
عبدا إلا لله ولم تعرف حوا أنه إبليس ولم يكن هذا شركا بالله تعالى لأنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما لكنهما
قصدا إلى أنه كان سبب نجاته وتم الكلام عند قوله آتاهما ثم ذكر كبار مكة فقال فتعالى الله عما يشركون انتهى
قلت قال ابن العربي في الأحكام في توهين هذا القول وتزييفه وهذا القول ونحوه مذكور في
ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ولا يعول عليه من له قلب والقول الأشبه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)